

أحمد
أبو كعب
يكتب من
عمان



الإباضية

يرفضون وصفهم بالخوارج

الإباضي .. وهو المذهب الغالب في عمان وحضرموت ، وامتد منها الى زنجبار أيام ان كان جزء كبير من شرق الم يقيا يتسم عمان ثم ان المذهب الإباضي ايضا ينتشر في شمال أفريقيا . من القرن الثاني للهجرة ، وكان انتشاره اكثر بين البربر .

والواقع ان الإباضية تاريخيا هي احدى الفرق التي خرجت ، اى انها من الفرق الخارجه على ما حدث لتخليفة الرابع على بن ابي طالب . لكن هذه التسمية بالطبع هي تسمية تاريخية متخفية بعد ان صارت في خير كان . لان الخوارج الان . لا يجنون من خرجوا عليهم . وان كان هناك بعض المتطرفين ، الذين يبتعدون عن الخوارج ولا علاقة لهم بهم .. الا في بعض الفسك المتطرف .

والاباضية تنتسب الى عبد الله بن ابي طالب ، وهم يعتبرون انفسهم مختلفين عن يعلو . عليهم بالخوارج ، ولهم اسمائهم في ذلك . فهم لا يلعنون الشيخين ابا بكر وعمر

تردد كثيرا وصف «الخوارج» على كثير من اصحاب الفكر المتطرف ، في الفترة التي سبقت اغتيال الرئيس الراحل انور السادات ، ونظمت في الفترة التي تلتها ، ولا تزال ، وربما ستظل تتردد الى امد طويل ..

الخوارج .. وصفا يطلقه على الكثيرين من الفرق التي تكونت بعد ن تبت عمرو بن العاص ، معاوية بن ابي سفيان على ملك المسلمين ، وتم خلع على بن ابي طالب .. مما ادى الى الفتنة التي اذكى نارها كثير من الظروف والملازمات ، وانقسم المسلمون الى سبعين فرقة وثيفا .. كل منها تعتبر نفسها هي المسلمة فقط ، وما عداها ليست بمسلمة .. وهذه الفرق اذكاها - بلا شك - كثيرون من الذين دخلوا الاسلام ، وفي قلوبهم مرض ، من افساء الحضارات التي سادت ثم ابادها الاسلام . المهم انني قبل ان اذهب الى عمان .. قرأت كثيرا من الكتب حول مذهب السلطنة



ودأوا لله بواجباته العملية .. فان فرق الخوارج ذات الفكر المتطرف ، ترى في مخالفتها مارقين تكفرهم .. وترى في ديارهم ديار كفر .. ولا بد من اعتزالها وحربها ، واستباحة دمه .

كذلك يختلف الإباضيون عن الخوارج في بعض الملامح الأساسية .. التي اثاره الكثير من الآراء والافكار منذ القرن الاول الهجري ، فالفرشية ليست عند الإباضيين شرطا للخلافة . فان وجسد الصالح في قريش حسنت ببعته ، واذا بويج وجبت طاعته لا من حيث انه قريشي ، بل من حيث انه صالح .

فالطلب - كما يرى الإباضيون - في الامة هو الصلاح . وصحة الامة عندهم اصل لصحة الولاية . ويكفي ان يكون الحاكم متصفا بالفضيلة ، سائرا بموجب الكتاب والسنة ، لتصح خلافته .. بعكس فكر كثير من فرق الخوارج القديمة والحديثة - مثل التكفير والهجرة - حول العاكمة ، والعاكمة ، والعصمة ، الخ هذه المسائل - حقيقة ان الخلافات بين الإباضيين وبين

الخوارج كثيرة ، بل هي جذرية في كثير من المسائل ، ومن يجب الاستزادة ، فهناك كثير من الكتب أهمها « الحقيقة » والجزء في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز ، و« اطلقات المفاهيم الربانية في حلقات المذهب الاباضي » و « عمان في التاريخ » .

وهناك كتاب في عدة اجزاء للامام عبد الحميد السالمي بعنوان « تحفة الاعيان في تاريخ اهل عمان » . وهناك كذلك ذكر للإباضية في « فمحة الاسلام » لاحيد امين ، الذي يقول عن الإباضية : « لقد كان فيهم كل العناصر التي تكون الادب عقيدة راسخة ، لا تزورها الاحداث ، وتحبس شديد لها تهون بها الارواح والاموال ، وصراحة في القول والعمل لا تخشى باسسا ولا ترهب احسدا وديمقراطية حقة لا ترى الامر ولا العظيم الا خادهم . ويجب ان يسرح المسلمون بحسب نصوص الكتاب والسنة لا ينحرفوا



فضيلة الشيخ احمد بن محمد الخليلي مفتي سلطنة عمان

.. وهم ايضا يرون ان اهل الكبار كفار نعمة ، لا كفار بالله مثل التكفير والهجرة والجماعات الاخرى القديمة التي اقيمت السلف المتطرف .

الإباضية تقول : من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ، فهو مسلم ، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم من التكليف ، ومما اوجبه الله في الدين - هم - اي الإباضية - يؤمنون لك انهم سنة ، وانهم يقتربون من المذهب المالكي اكثر من غيرهم . وما يراه الإباضية في اهل الكبار هام جدا ، لانه يختلف عن مذهب الفالكية من فرق الخوارج ، خاصة اصحاب الفسخر المتطرف منهم ، الذين يرون ان مرتكب الكبار .. كفار مستباح دمهم ، وهذا يترتب عليه اشياء اخرى .

فاذا كان الإباضيون يرون في دار مخالفتهم دار توحيد ، اذا صلوا وصاموا ونطقوا بالشهادتين ، وحجوا البيت الحرام ،

الإباضية

عنها قيد شعرة .

ان الإباضية موطنها الاول مدينته البصرة ، كما تجمع اغلب المصادر ، وقد بدأت كتوة سياسية في تاريخ الاسلام منذ أثلثه الاول من القرن الثاني الهجري . وهم - اى الإباضيون - يأخذون برأى امير المؤمنين عمر بن الخطاب فى الإمامة ، وكذلك عثمان بن عفان فى سنيه الاولى . كما أنهم يرون انه لا عصمة لتبى او رسول وهم يشتدون فى الدين من أجل ذلك . وهذا يعنى أن الإباضية مختلفون عن المذاهب التى تقول بعصمة الامام .

هذا الذى ذكرناه من المصادر .. ماذا عنه على السنة العلماء المتخصصين ؟

فى زيارة لمسقط ، اتقى بفضيلة الشيخ احمد بن حمد الخليلى مفتى سلطنة عمان .. الذى ينتهى الى الخليل بن صالحان جده الاعلى ، وكان عالما مشهورا فى السلطنة . كان المفتى يتأهب للعودة من القاهرة ، بعد أن حضر احتفالات مصر والعالم الاسلامى بمرور الف عام على تأسيس الازهر الشريف .. ودار حوار هام معه .

فى البداية قال مفتى عمان : نحن نبيتنا وبين الازهر الشريف تعاون وثيق . ان غالبية علماء السلطنة هم من تلامذة الازهر الشريف . كما أنه بالازهر يدرس عدد كبير من الطلبة العمانيين .. ولقد تخرجت فى الازهر مجموعة من شباب عمان ، كثير منهم لبوا المناصب الدينية . وهناك الكثير من أئمة عمان الذين يواصلون دراساتهم العالية فى الازهر . ويتمنى مفتى عمان أن يستحدث فى الازهر - وفى كلية أصول الدين بالذات - قسم للغة القرآن وأن يكون من بين الدراسات بالطبع .. المذهب الإباضى .

وكما قال لى مفتى عمان ان السلطنة تعتمد على علماء الازهر فى العلم ، ويوجد بالسلطنة معهد اسلامى ، ومعهد القضاء والخطابة فى عمان .. واكثر الاساندة من

مبعوثى الازهر . واتتعليم الديرى فى السلطنة ، يجرى على طريقة الحلقات القديمة فى الازهر .

● سالت مفتى عمان : ما هى اهم قضايا الفكر التى ترسل اليكم أكثر من غيرها لكى تصدروا فيها فتاواكم ؟

قال : اهم القضايا بالطبع ، هى قضايا الطلاق والزواج والموارث ، كما أن امور المبادات تحتل المكانة الاولى . والفتاوى اما تصدر الى العامة ، واما الى الخاصة أى الى الجهات الرسمية . والفتاوى التى تصدر للعامة كما قلت هى فى امور العبادات ، والاحوال الشخصية . واما الفتاوى الموجهة للخاصة ، فانها تكون بالطبع فى الامور الحكيمة ، ونحن مشكلة تعضل او تشكل على قاضى من القضاة .. وفى هذه الحالة يستفتى المفتى فيجب بحسب ما يرتضخ له .

ويضيف المفتى : ان الاسئلة التى ترد من العامة ان كانت مما يدور حول المعاوى القانية والمتطورة امام المحاكم ، فان المفتى يتوقف فى هذه الحالة عن الاجابة ، نظرا الى ان كل واحد من الخصم يريد ان يصور لفضيته بحسب ما يرى لنفسه ، ويقدّر بما يقوى به حجته . ولذلك فقد تتعارض الفتوى فى مسألة واحدة ، وعلى كل من المفتى والقاضى ان يجيب او يحكم بحسب ما يترجح عنده . على ان فتوى المفتى بالطبع ليست بملزمة ، بخلاف حكم القاضى .

● ويأتى السؤال حول المذهب الإباضى: هل هو القرب من السنة الى الشيعة ؟

ويقول : المذهب الإباضى ، له اصول اربعة هى : كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتماع الامة . والقياس .. كما انه أهل المذهب يأخذون بالاستدلال ، ويعتمدون احيانا على المصالح المرسله : ان الإباضية مثل المالكية السنية .

والدليل على ذلك ، أنهم لا يتقبلون في الاجتهاد بصير معين ، ولا يحتكرون الاحاديث النبوية على رواية طبقة معينة عند الناس ايضا فان علماء الاباضية يخلدون بمسا يترجح من آراء الائمة الأربعة ، مع احترام هذه الآراء جميعا .

ونذكر مثلا لذلك ، كان الاباضية قديما مطبقين على اشتراط الولي في تزويج المرأة ، عملا بقول رسول الله صل الله عليه وسلم « لا نكاح الا بولي » وقوله ايضا صلى الله عليه وسلم : « ايما امرأة زوجت نفسها بدون اذن وليها فنكاحها باطل ، باطل ، باطل » . ومع ذلك فقد اتى احد العلماء المتقدمين من اهل عمان ، وهو الامام ابوعل موسى بن علي الازكوي المتوفى في عام ٢٣٦ هجرية ، بطلان الزواج بدون ولي ، ان كان الزوج لم يقع ، ولم يدخل الزوج بالمرأة .. اما ان كان قد دخل بها ، فيكون أزواج صحيحا ..

بمعنى ان المذهب الاباضي احتراماً لراي الامام أبي حنيفة ، تم يفرق بين الزواج وزوجته . وراي الامام أبي حنيفة بالطبع لا يرى اشتراط الولي في تزويج المرأة .. وهذا يعني ان الاباضية يختلف عما يطلق عليهم الخوارج .

ويقول فضيلة مفتي عمان ايضا : ثم جاء امام اباضي آخر هو الامام أبو محمد عبد الله بن محمد بن برمكة ، وهو من اهل عمان ، والتي بصحة الزواج بدون ولي مطلقا ، ترجيحاً منه لراي الامام أبي حنيفة ..

● اذن هل الاباضية ليسوا من الخوارج ؟

قال : الاباضيون قد يتفقوا مع ما يطلق عليهم « خوارج » في بعض الآراء . ولكن هذا لا يعني انهم خوارج . هم يتفقون مع غالبية الخوارج في ان الحكم ينبغي ان يكون شورى بين المسلمين ، ويجب ان يكون

الحاكم مراقبا من قبل المسلمين ، فان انحرف جرى تقويمه .. وهذا هو الذي نادى به الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه « يا ايها الناس ، اذا رأيتم في اعوجاجا تقومولي . فرد عليه احد الحاضرين موالته لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » .

فحمد الخليفة الثاني الله على انه يوجد في امة محمد من يقوم الاعوجاج بالسيف . وهذا الراي قد اخذ به الكثير من مفكري العصر الحديث ، فلا يعنى انهم من الخوارج . ويضيف المفتي : الاختلاف بين الاباضية والخوارج في الامام الواحد ، وفي المذهب . كما ان الاباضيين لا يتكروا الاجتهاد ، وهم لا يرضون في الصلاة سوى اسبأل الترايعن مثل المائكية .

قلت لفصيلته : هل تابعت حوارات علماء المسلمين في مصر مع المتحفظ عليهم في المسجون . وهل تابعت آراء اصحاب الانكار المتطرفة ؟

قال : تم قرأت بعضه ، ولم اصتق الكثير منه .

قلت : ان ما اذيع ونشر من الفكر المتطرف صحيح في اقلبه .

قال : دنيا ، ولكنني لا اكون دابا .. الا بعد التمحيص والتقصي وثبوت الادلة والبراهين .

قلت : البعض من اصحاب الفكر المتطرف يرفض السنة .

قال : الذي يجعل سنة رسول الله صل الله عليه وسلم كالمرا .. فالسنة ثابتة بالقرآن الكريم .

قلت : لماذا يتدفع بعض شباب المسلمين الى التطرف ؟

قال : الشباب يمثل طائفة ، تحتاج الى التوجيه السليم ، وتهيئة المناخ الطيب ، ليجد متنفسا للتعبير عن شعوره الاسلامي .. ولا بد من ان يجد القنوة الصالحة ●